

سورة الكهف (الآيتان: 30 - 31)

10

١٠

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف جزاء الإيمان وإحسان العمل.
- 2- أن أدرك النعيم الذي أعده الله للمؤمنين.
- 3- أن أبادر إلى العمل الصالح وإحسان العمل.

تمهيد

بعد أن حذرت الآيات السابقة من عاقبة الكفر، وبينت جزاء الظالمين وحالهم في نار جهنم، جاءت هاتان الآيتان تبينان جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح وإحسان العمل، وما أعد الله سبحانه وتعالى لهم من نعيم مقيم.

فما جزاء المؤمنين؟ وما النعيم الذي أعده الله لهم؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْبِرَّ عَمَلُوا الصَّالِحِينَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَرَاغِبٍ عَنْهُ ۖ ﴿٣٠﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ
نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۖ ﴿٣١﴾ [الكهف: 30 - 31]

الشرح:

الصَّالِحَاتِ: الأعمال الحسنة.

الْأَرْيَاقُ: جمع أريكة، وهو السرير.

الثَّوَابُ: الجزاء.

مُزْتَقِفًا: متكئا ومستندا.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم يكافئ الله تعالى أهل الإيمان على أعمالهم الصالحة؟

2 - ما النعيم الذي ينتظر أهل الإيمان في الجنة؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولاً: جزاء الإيمان وإحسان العمل:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي النَّارِ، ذَكَرَ حَالَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا الْيَوْمَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَرَ عَمَلًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَرَ عَمَلًا﴾ جملة اعتراضية بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا الْيَوْمَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وقوله: ﴿أَوَلَيْدَ﴾، وهي مؤكدة للمعنى، مذكرة بأفضال الله، منبهة على حسن جزائه. قال أبو حيان: «وَخَبَرُ «إِنَّ» يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَيْدَ لَقَمَرٍ﴾... وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا مِنْهُمْ. أَوْ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ أَحْسَرَ عَمَلًا﴾ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ فِي رِبْطِهِ الْجُمْلَةَ بِالِاسْمِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمُبْتَدَأُ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّ ﴿مَنْ أَحْسَرَ عَمَلًا﴾ هُمْ ﴿الْيَوْمَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ». [البحر المحيط: 7 / 170]. و﴿عَمَلًا﴾ منصوب على التَّمْيِيزِ، أَوْ هُوَ مَفْعُولُ لـ ﴿أَحْسَرَ﴾.

وفي هذه الآية اشتراط الإيمان لقبول العمل الصالح، وهو ما أكدته آيات عديدة في كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثَالَ حَبِّ خَلْدٍ وَلَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنبياء: 93].

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، قال القرطبي: «و﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ سُرَّةُ الْجَنَّةِ، أَي: وَسَطُهَا وَسَائِرُ الْجَنَّاتِ مُحَدِّقَةٌ بِهَا، وَذُكِرَتْ بِلَفْظِ الْجَمْعِ لِسَعَتِهَا؛ لِأَنَّ كُلَّ بُقْعَةٍ مِنْهَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ جَنَّةً، وَقِيلَ: الْعَدْنُ الْإِقَامَةُ، يُقَالُ: عَدَنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَعَدَنَتِ الْبِلَادُ تَوَطَّنَتْهُ، وَعَدَنَتِ الْإِبِلُ بِمَكَانٍ كَذَا لَزِمَتْهُ فَلَمْ تَبْرَحْ مِنْهُ، وَمِنْهُ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أَي: جَنَّاتُ إِقَامَةٍ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَعْدِنُ بِكَسْرِ الدَّالِّ، لِأَنَّ النَّاسَ يُقِيمُونَ فِيهِ بِالصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَمُرْكَزُ كُلِّ شَيْءٍ مَعْدَنُهُ، وَالْعَادِنُ: النَّاقَةُ الْمُقِيمَةُ فِي الْمَرَاغَى». [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 257].

وقوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ يريد من تحت غرفهم، ومبانيهم. وهذا كقول فرعون: ﴿وَقُلُوبِي إِلَّا نَفْسِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: 50]. قال الطبري: «تَجْرِي مِنْ دُونِهِمْ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْأَنْهَارُ». [جامع البيان: 9 / 243].

ثانياً: النعيم الذي أعدّه الله للمؤمنين في الجنة:

قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ أي: يزينون في جنات عدن بأنواع الحلي، وقوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ «الأساور» ما يلبس في المعصم من اليدين، واحده إسوار، حذفت الياء من الجمع لأن قياسه: أساوير، وهي ما كان من الحلي في الذراع. وقيل: ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، وفي سورة الزخرف: ﴿قُلُوبًا الْغَيْرُ عَلَيْهِمْ أَسْوِرَاتُ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: 53]. وفي المثل: «لو ذات سوار لطمتني»، يضرب مثلاً لمن تعرض لأقصى الإهانة ممن ليس كفئاً له.

وقد رسمت كلمة ﴿أَسْوِرَاتُ﴾ في المصحف بحذف الألف، وهو حذف إشارة لقراءة «أُسُورَةٍ» بسكون السين دون ألف، وهي رواية حفص عن عاصم. وَتَنْكِيرُ أَسَاوِرَ لِإِبْهَامِ أَمْرِهَا فِي الْحُسْنِ. وَ﴿مِنْ﴾ الْأُولَى لِلْإِبْتِدَاءِ وَالثَّانِيَةُ لِلتَّبْيِينِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ لِلتَّبْعِيضِ لَا لِلتَّبْيِينِ.

قال سعيد بن جبير: على كل واحد منهم ثلاثة أسورة، واحد من ذهب، وواحد من ورق، وواحد من لؤلؤ.

قال القرطبي معلقا على قول ابن جبير: «هَذَا مَنْصُوصٌ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ هُنَا - يَعْنِي بِسُورَةِ الْكَهْفِ - : ﴿مِنْ ذَاكِبٍ﴾ وَقَالَ فِي الْحَجِّ وَفَاطِرٍ : ﴿مِنْ ذَاكِبٍ وَلَوْلَا﴾ [الحج: 21 وفاطر: 33] وَفِي الْإِنْسَانِ ﴿مَرِضَةً﴾ [الإنسان: 16] [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 257].

وقوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ هو من «لبس» بالكسر، ويقال: في الثياب والسلاح. قال ابن كثير: «وَخَصَّ الْأَخْضَرُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ الْمُوَافِقُ لِلْبَصَرِ؛ لِأَنَّ الْبَيَاضَ يُبَدِّدُ النَّظَرَ وَيُؤْلِمُ، وَالسَّوَادُ يُدْمِ، وَالْخُضْرَةُ بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، وَذَلِكَ يَجْمَعُ الشُّعَاعَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 385].
وقوله: ﴿مَرِضٌ سُنْدِسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ السُّنْدُسُ: مَا رَقَّ مِنَ الدِّيَابِجِ. وَالْإِسْتَبْرَقُ: مَا غُلِظَ مِنْهُ وَتَخُنَ، وَقِيلَ: إِنَّ الْإِسْتَبْرَقَ: هُوَ الْحَرِيرُ. وقال بعض الناس: هو فارسي عرب، وأصلها استبره.
قال القرطبي: «وقال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان، جعل الله ذلك لأهل الجنة». [الجامع لأحكام القرآن: 5 / 258].

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ هي النعمة الثالثة التي ذكرها سبحانه بعد قوله: ﴿يُخَلِّقُونَ فِيهَا﴾ وقوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾. وأصل ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ موتكئين، والاتكاء قيل: الاضطجاع، وقيل: التربع في الجلوس. قال ابن كثير: «وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمُرَادِ هُنَا، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «أَمَّا أَنَا فَلَا أَكُلُ مُتَّكِنًا. [صحيح البخاري: كتاب الأطعمة - باب الأكل متكئا، حديث 5083]». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 385]. ويقويه أيضا قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَلْيَبۡتَغِمْ أَبۡتُوبَا وَسُرَّآءُ عَلَيْهِمَا يَتَّكِئُونَ﴾ [الزخرف: 33].

و﴿الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرر في الحبال. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : هِيَ الْأَسِرَّةُ مِنْ ذَهَبٍ.

ثالثا: إشادة الله تعالى بنعيم الجنة وبالإقامة فيها:

قال تعالى: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَبَعَاً﴾، أي: نِعَمَ الثَّوَابُ جَنَاتُ عَدْنٍ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. وَ﴿نِعْمَ﴾ فعل ماضٍ لإنشاء المدح. وفي معناها قوله:

﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَبَعًا﴾ أي: وَحَسُنَتْ هَذِهِ الْأَرَائِكُ فِي هَذِهِ الْجَنَانِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى. ونصب ﴿مُرْتَبَعًا﴾ على التمييز.

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ نِعْمَتِ الْجَنَّةِ ثَوَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ ﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَبَعًا﴾ أي: حَسُنَتْ مَنْزِلًا وَمَقِيلًا وَمَقَامًا، كَمَا قَالَ فِي النَّارِ: ﴿بَيْسَ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَبَعًا﴾، وَهَكَذَا قَابَلَ بَيْنَهُمَا فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الْفُرْقَانِ: 66]، ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْوَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا جَنَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الْفُرْقَانِ: 75 - 76]». [تفسير القرآن العظيم: 4 / 385].

رابعاً: لطائف وفوائد:

- قال أبو حيان رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا...﴾ الآية: قال الزمخشري «وجمع بين السُّنْدُسِ وَهُوَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيْبَاجِ، وَبَيْنَ الْإِسْتَبْرَقِ وَهُوَ الْغَلِيظُ مِنْهُ جَمْعًا بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَقَدِّمَتِ التَّحْلِيَّةُ عَلَى اللَّبَاسِ لِأَنَّ الْحُلِيَّ فِي النَّفْسِ أَعْظَمُ وَإِلَى الْقَلْبِ أَحَبُّ، وَفِي الْقِيَمَةِ أَعْلَى، وَفِي الْعَيْنِ أَهْلَى، وَبِنَاءُ فَعْلُهُ لِلْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يَسَمَّ فَاعِلُهُ إِشْعَارًا بِأَنَّهُمْ يُكْرَمُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَعَاطَوْنَ ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ... وَأَسْنَدَ اللَّبَاسِ إِلَيْهِمْ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَعَاطَى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ خُصُوصًا لَوْ كَانَ بِأَدْيِ الْعَوْرَةِ، وَوَصَفَ الثِّيَابَ بِالْخُضْرَةِ لِأَنَّهَا أَحْسَنُ الْأَلْوَانِ، وَالنَّفْسُ تَتَبَسَّطُ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ أَثَرٌ أَنَّهَا تَزِيدُ فِي ضَوْءِ الْبَصَرِ... وَخَصَّ الْإِتْكَاءَ لِأَنَّهَا هَيْئَةُ الْمُنْعَمِينَ وَالْمُلُوكِ عَلَى أَسْرَتِهِمْ». [البحر المحيط: 7 / 171].

- قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ الآية، وَوَجْهُهُ إِثَارِ إِضَافَةٍ (تَحْتَ) إِلَى ضَمِيرِهِمْ دُونَ ضَمِيرِ الْجَنَاتِ زِيَادَةً تَقْرِيرِ الْمَعْنَى الَّذِي أَفَادَتْهُ لَامُ الْمَلِكِ، فَاجْتَمَعَ فِي هَذَا الْخَبَرِ عِدَّةُ مَقَارِرَاتٍ لِمَضْمُونِهِ، وَهِيَ: التَّأَكِيدُ مَرَّتَيْنِ، وَذِكْرُ اسْمِ الْإِشَارَةِ، وَلَامُ الْمَلِكِ، وَجَرُّ اسْمِ الْجِهَةِ بِ ﴿مِنْ﴾، وَإِضَافَةُ اسْمِ الْجِهَةِ إِلَى ضَمِيرِهِمْ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ: التَّعْرِيزُ بِإِغَاظَةِ الْمُشْرِكِينَ لِتَتَقَرَّرَ بِشَارَةُ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا تَقَرُّرُ [التحرير والتنوير 15 - 313]

- في وصف ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين من نعيم الجنة الخالد بياناً لسعة فضل الله تعالى وعظيم جزائه، ومدعاة لمجاهدة النفس على تقوية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والتخلق

بالعمل الصالح والمسارة في الخيرات فإنها سبل الفوز بنعيم الجنة.

التقويم

- 1 - ما شرط قبول العمل الصالح؟ استدلل على ذلك بآيات مناسبة.
- 2 - ما الفرق بين السندس والإستبرق؟
- 3 - ما المغزى التربوي من ذكر نعيم المؤمنين في الجنة؟

الاستثمار

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في سبب وجود المعرب في القرآن الكريم: «ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْرُفَ أُصُولُهَا أَعْجَمِيَّةٌ كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ، لَكِنَّهَا وَقَعَتْ لِلْعَرَبِ فَعَرَّبَتْهَا بِالسِّنَنِهَا وَحَوَّلَتْهَا عَنْ أَلْفَاظِ الْعَجَمِ إِلَى أَلْفَاظِهَا فَصَارَتْ عَرَبِيَّةً، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَقَدْ اخْتَلَطَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا عَرَبِيَّةٌ فَهُوَ صَادِقٌ، وَمَنْ قَالَ أَعْجَمِيَّةٌ فَصَادِقٌ».

[الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: 2 / 129].

أتأمل النص وأجيب عما يأتي:

- 1 - أستخرج من النص سبب وجود المعرب في القرآن.
- 2 - أذكر بعض الكلمات التي قيل: إنها من المعرب.
- 3 - هل ينافي وجود المعرب في القرآن كونه عربياً؟ ولماذا؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 32 - 35 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

- 1 - بم تسمى القصة التي ذكرت بدايتها في هذه الآيات؟
- 2 - ما الغرض من ضرب المثل في القرآن الكريم؟
- 3 - ما المراد بالكلمات الآتية: الْجَنَّتِيرُ - كَلَفَا - تَضَلِمَ - ثَمَّرَ - نَبَرَأَ؟